اذن لا بد من استكمال الصورة بدقائقها قبل النصح بـ « نعم » او « لا » .

مع ذلك ، وعلى اهمية ما اشرنا اليه ، عن ضرورة استكمال الصورة قبل اتخاذ القرار ، فان هناك ثمة اسئلة لا بد من الرد عليها ، حتى بعد استكمال هذه الصورة ، وهي في رأيي الاسئلة المركزية التي يحسم الرد عليها الموقف نهائيا . وهي نوع من الاسئلة التي اصبح طرحها واردا في هذه الظروف الجديدة ، لانها الى حد كبير تشكل منعطفا في التفكير الثوري الفلسطيني .

من هذه الاسئلة : هل يمكن تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني دفعة واحدة ، بمعركة فاصلة واحدة ؟

كلنا متفق على تحرير كامل التراب . وما من عربي او فلسطيني حر شريف يقبل ، او يملك اصلا الحق بأن يقبل ، بالتنازل عن شبر واحد من تراب فلسطين الغالية . ففلسطين ليست عزبة ولا بيارة ، ولا قطعة ارض او عقار ، حتى يملك اي فريق من ابنائها ، او الغرباء عنها ، حق التنازل عنها او منح جزء منها ، او تشريع ما اغتصب منها لاي جهة كانت .

فلسطين وطن مغتصب بفعل القوة العنصرية الصهيونية المتواطئة مع الاستعمار ، ولا يمكن ان يتنازل اي فلسطيني عن حقه باستردادها كاملة وغسل العار عن ثراها . واذا عجزنا ، في هذا الجيل عن تحريرها جزئيا او كليا ، فلا اقل من أن نبقي ابواب النضال مشرعة امام جيل قادم يكون اوفر حظا في ظروفه المؤاتية للتحرير الكامل .

من هذا المنطلق نطرح السؤال مجددا وهو كما اوضحنا لا يطرح الهدف الستراتيجي للمناقشة ، وانما يطرح اسلوب تحقيق الهدف للمناقشة .

معروف ان هناك ثمة رأيا يرد على هذا السؤال « بنعم » ، وبناء عليه فانه يرفض « مرحلة » النضال ، ويتهمها كأسلوب عمل بالتنازل عن الهدف بشكل ضمني . ومن أجل الحوار ، فلنطرح وجهة النظر المضادة ، اي الداعية « لمرحلة » النضال ، والتوجه الايجابي للتمسك بالانتصارات الجزئية على طريق تحقيق الهدف النهائي .

يقول أهل هذا الرأي باختصار :

اولا : ان النضال المسلح وحده ، وبمعزل عن النضال السياسي ، هو موقف ثوري ناقص . وعلى الثورة ، كي تنتصر ، ان تعتمد الاسلوبين ، كي لا تكره ، تحت اي ظرف من الظروف ، على الجمود التام عن التحرك . والنضالان يتممان الواحد منهما الاخر .

ثانيا : ان النضال السياسي ، كالنضال المسلح ، لا يعني ولا يجوز ان يفهم على أنه — لانه صراع بالكلمات — أقل قدرة على الصمود في وجه العدو ، او انه أكثر استعدادا للتسامح في حقوق الشعب . ان لقاء المناضل السياسي مع خصمه ، في مجالات الصراع السياسي والدبلوماسي ، هي الصورة الاخرى للقاء الذي يتم بين الفدائي المقاتل وخصمه على ارض القتال .

ثالثا : ان في التاريخ المعاصر ، كما في التاريخ الغابر ، الكثير من العبر والتجارب التي تؤكد أن « مرحلة » النضال على طريق الهدف النهائي ، لا تعني مطلقا اي تنازل عن هذا الهدف ، بل ان العكس هو ما حدث في كثير من أمثلة الشعوب النضالية . ويسوق هؤلاء للتدليل على صدق استقرائهم للتاريخ الى نضال الفيتناميين، والكوريين . بل انهم يسوقون من تجربتنا نحن مثلا مثيرا ومن امسنا القريب . مثل غزة بعد عام ١٩٥٦ ، التي افترض بها أن تبقى تحت وصاية الامم المتحدة ومنزوعة